AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
العدد 6، الرقم 2، مايو 2023
E-ISSN: 2637-0581

التَّعَامُل مع الحَمَوَيْن في ضَوْءِ سيرة النبي ﷺ

Dealing with the father-in-law of the spouses in the light of the life of the Messenger, peace and blessings of ALLH be upon him.

محمد إبراهيم صقر Mohammed Ebrahim Sakr
Sultan Ahmad Shah Pahang Islamic University (Unipsas)
E-mail: meesakr67@gmail.com

Article Progress

Received: 11 Feb 2023
Revised: 3 April 2023
Accepted: 1 May 2023

*Corresponding Author:
Mohammed Ebrahim Sakr
Sultan Ahmad Shah Pahang Islamic University (Unipsas)

E-mail: meesakr67@gmail.com

ملخص البحث

تعد الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي ، لذلك اهتم الإسلام بتأسيس الأسرة المسلمة القوية ، ووضع لها القواعد التي تحميها وتحافظ عليها ، وكانت سيرة النبي ﷺ مثالاً حياً للمحافظة على الأسرة المسلمة ؛ فنجده ﷺمهتماً بأولاده وزوجاته وما يتعلق بهم من نسب ؛ لذلك نجده ﷺ يضرب المثل الأعلى في العلاقة مع أقارب الزوجة ومع أزواج بناته ، حتى صارت سيرته ﷺ في التعامل مع الحموين مرجعاً أساسياً لكل البشر الذين يبحثون عن الاستقرار الأسري ، وينشدون السعادة الأسرية. لذا كانت تلك الدراسة عن توضيح منهج النبي ﷺ في التعامل مع الحموين ؛ أم الزوجة وأبيها ، وكذلك في التعامل مع أزواج بناته ، والهدف من تلك الدراسة الاقتداء بالنبي ﷺ في كيفية التعامل مع الحموين ؛ فلقد أحسن إلى حماته أم رومان أم زوجته السيدة عائشة – رضي الله عنها– وكذلك كان باراً بآباء زوجاته ؛ أبي بكر وعمر وأبي سفيان – رضي الله عنهم أجمعين – واهتم النبي ﷺ بأزواج بناته ؛ فأحسن إليهم وراعى جانبهم ؛ وذلك لسعادة بناته ؛ وتقوية الصلة بين الأسرتين ؛ وهذا واضح في معاملته – صلى الله عليه وسلم – لعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي العاص بن الربيع – رضي الله عنهم – أجمعين ، وقد سلكت في هذه البحث المنهج الإستقرائي والمنهج التحليلي ؛ وذلك بتتبع المصادر التي توضح منهج النبي ﷺ في التعامل مع الحموين ومع أزواج بناته ، مع تحليل هذه المواقف وأخذ العبرة والعظة منها ، وكان من نتائج هذا البحث حرص النبي ﷺعلى تقوية الصلة بينه وبين حمويه، وكذلك اهتمامه بأزواج بناته.

الكلمات المفتاحية : التعامل ، الحموين ، الأسرة ، السيرة النبوية

Abstract

The family is the basic building block in building an Islamic society, so Islam took care of establishing a strong Muslim family, and setting rules for it that protects and preserves it. We find that he, may ALLAH's prayers and peace be upon him, is interested in his children, his wives, and the lineage related to them. Therefore, we find him, may ALLH bless him and grant him peace, setting the ideal in the relationship with the wife's relatives and with the husbands of his daughters, until his biography, may ALLH bless him and grant him peace, in dealing with in-laws became an essential reference for all people who are looking for family stability and seeking family happiness. Therefore, this study was about clarifying the approach of the Prophet, may ALLAH's prayers and peace be upon him, in dealing with the father-in-law. The wife's mother and father, as well as in dealing with his daughters' husbands. He was kind to his mother-in-law, Umm Ruman, or his wife, Mrs. Aisha - may ALLAH be pleased with her - and he was also kind to the fathers of his wives. Abu Bakr, Omar and Abu Sufyan - may ALLAH be pleased with them all - and the Prophet, may ALLAH's prayers and peace be upon him, cared for the wives of his daughters; so be kind to them and take care of their side; for the happiness of his daughters; and strengthening the bond between the two families; This is clear in his treatment - may ALLAH bless him and grant him peace - of Othman bin Affan, Ali bin Abi Talib, and Abi Al-Aas bin Al-Rabea - may ALLAH be pleased with them all. In this research, I followed the inductive approach and the analytical approach; This is done by following the sources that explain the approach of the Prophet in dealing with the father-in-law and with the husbands of his daughters, while analyzing these situations and taking the lesson and admonition from them.

Keywords: dealing, father-in-law, family, biography of the Prophet

المقدمة

تُعَدُّ السيرة النبوية من أساسياتِ الإسلام ؛ وروحه فهي التي تُجَسِّد الواقع وهي التي يحتاج إليها كلُ مسلم في جميع مجالات حياته ؛ فَتُوَضِحُ له كيف عاش الحبيب المصطفىﷺ منذ ولادته وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وتوضح كيف تعامل النبي ﷺ مع المجتمع ، وكيف ربى أصحابه – رضوان الله عليهم –

كذلك توضح كيف تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع المستجدات والمشاكل الفردية والمجتمعية، وكيف كان حريصاً على بناء مجتمع قوي متماسك تسوده روح الألفة والمحبة والتعاون ، وكيف كان مهتماً بترسيخ القيم التربوية ؛ خاصة في الأسرة المسلمة التي هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع ؛ لذلك اهتم النبي ﷺ بتأسيس الأسرة المسلمة القوية ، وأساسها الزوج والزوجة ؛ فنجده مهتماً بأولاده وزوجاته وما يتعلق بهم من نسب ؛ لذلك نجده ﷺ يضرب المثل الأعلى في العلاقة مع أقارب الزوجة ومع أزواج بناته ، ولنا في معاملته الأسوة الحسنة كما قال تعالى :

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (سورة الأحزاب الآية :21)

ولكن الأمر لايسلم من وجود المشاكل والعوائق في الحياة ؛ ولقد امتلأت الحياة بالمشاكل الكثيرة التي تنشأ من خلال علاقة الأزواج بالحموات.

وقد وصل الأمر إلى ضياع الأسرة وكثرة الطلاق ، وكثرة الحقوق ، وظهر ذلك مع تردى الأحوال الاقتصادية وكذلك هبوط الحالة الإيمانية عند بعض الأفراد لذلك استعنت بالله وفكرت في وضع بحث يوضح هذه المشكلة ، وعلاجها من خلال سيرته.ﷺ

أسئلة الدراسة :

اشتملت هذه الدراسة على عدة أسئلة منها:

1. كيف تعامل النبي ﷺ مع حمويه.
2. ما منهج النبي ﷺ في التعامل مع أزواج بناته ؟
3. ما أهمية سيرة النبي ﷺ في سعادة الأسرة المسلمة ؟

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف منها :

1. بيان منهج النبي ﷺ في التعامل مع الحموين.
2. توضيح منهج النبيﷺ في التعامل مع أزواج بناته.

3. أهمية سيرة النبي ﷺ في استقرار الأسرة المسلمة.

منهج الدراسة : سلكت في هذه البحث المنهج الإستقرائي والمنهج التحليلي؛ وذلك بتتبع المصادر التي توضح منهج النبي ﷺ في التعامل مع الحموين ومع أزواج بناته ، مع تحليل هذه المواقف وأخذ العبرة والعظة منها .

الدراسات السابقة : بعد البحث في كثير من الكتب والمراجع لم أجد أحداً كتب في هذا الموضوع ، وما كتب وهو قريب من هذه الدراسة ، هي عن الأسرة المسلمة وتعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وأولاده.

هيكل الدراسة:

وقد اشتمل هذا البحث على :أهمية دراسة السيرة النبوية ، معنى الحماة ، الأسرة المستقرة في الإسلام ، تعامل النبي (ﷺ) مع الحموين (أم الزوجة وأبيها)؛ معاملة النبي (ﷺ) لحماته، معاملة النبى (ﷺ) لحماه والد الزوجة.

1. معاملة النبى (ﷺ) لأبى بكر الصديق (رضي الله عنه).
2. معاملة النبى (ﷺ) لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
3. معاملة النبى (ﷺ) لأبى سفيان بن حرب (رضى الله عنه).

منهج النبى (ﷺ) في التعامل مع زوج البنت.واشتمل على:عثمان بن عفان زوج رقية وأم كلثوم. (رضي الله عنهم) أبو العاصي بن الربيع زوج زينب.(رضي الله عنهما)، على بن أبى طالب زوج فاطمة.(رضي الله عنهما) السيدة فاطمة مع حماتها. (رضي الله عنهما) ثم الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

هذا ما وفقنى الله ﷻ له ، وأسأل الله ﷻ، أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتي يوم القيامة.

تمهيد

قبل الحديث عن منهج النبيﷺ في التعامل مع الحموين ، ينبغي لنا أن نوضح بعض النقاط الأساسية التي نستفيد منها في هذه الدراسة : وهي : أولاً: أهمية دراسة السيرة النبوية ، ثانياً: معنى الحماة ، ثالثاً: أهمية الأسرة المستقرة في الإسلام .

أهمية دراسة السيرة النبوية

إن دراسة الهدي النبوي له أهميته لكل مسلم فهو يحقق عدة أهداف من أهمها :

1. الاقتداء برسول الله ﷺ من خلال معرفة شخصيته ﷺ وأعماله وأقواله وتقريراته .
2. كما أن السيرة النبوية توضح للمسلم حياة الرسول ﷺ بدقائقها وتفاصيلها منذ ولادته وحتى موته مروراً بطفولته وشبابه، ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه.

   وتُظهر بوضوح أنه كان زوجاً وأباً وقائداً ومحارباً، وحاكماً وسياسياً ومربياً وداعية وزاهداً وقاضياً، وعلى هذا فكل مسلم يجد بُغْيَته فيها. (أبو فارس، 1997م، ص50)
3. والداعية يجد له في سيرة رسول الله ﷺ أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام.

   ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله ﷺ من أجل إعلاء كلمة الله ، وكيف التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وماهو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن .
4. ويجد المرَبّي في سيرته ﷺ دروساً نبوية في التربية والتأثير على الناس بشكل عام وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكَلَأَهُم بعنايته ، فأخرج منهم جيلاً قرآنياً

فريداً وكوّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها .

5. ويجد القائد المحارب في سيرته ﷺ نظاماً محكماً، ومنهجاً دقيقاً في فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب والأمة، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقة في التنفيذ بينة وحرصاً على تجسيد مبادئ العدل وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء والراعي والرعية .

6. ويتعلم منها السياسي كيف كان ﷺ يتعامل مع أشد خصومه السياسيين المنحرفين، كرئيس المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) الذي كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر ويبغض رسول الله. ﷺ

وكيف كان يحوك المؤامرات وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لإضعافه وتنفير الناس منه وكيف عامله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصبر عليه وعلى حقده حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعاً؛ حتى أقرب الناس له كرهوه والتفوا حول قيادة النبي.ﷺ

7. ويجد العلماء فيها مايعينهم على فهم كتاب الله تعالى لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب النزول، وتفسير لكثير من الآيات، فتعينهم على فهمها والاستنباط منها ومعايشة أحداثها، فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم؛ وبذلك يتذوقون روح الإسلام ومقاصده السامية .

ويجد فيها الزهاد معاني الزهد وحقيقته ومقصده، ويستقي منها التجار مقاصد التجارة وأنظمتها وطرقها .

ويتعلم منها المبتلون أسمى درجات الصبر والثبات ، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظم ثقتهم بالله عزوجل ويوقنوا أن العاقبة للمتقين. (أبو فارس ، محمد .د.ت ص14)

8. والسيرة النبوية هي أصح سيرة لتاريخ نبيٍّ مرسل ؛ حيث وصلت إلينا عن أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتا ، فخذ مثلاً سيرة موسى وعيسى – عليهما السلام – في تلقى التوراة والإنجيل وقد تطرق إليهما الزيف والتحريف .

إننا لا نستطيع أن نركن إلى التوراة الحاضرة لنستخرج منها سيرة صادقة لموسى ﷺ، فقد أخذ كثيرٌ من النقَّاد الغربيين يشككون في بعض أسفارها ، وبعضهم يجزم بأن بعض أسفارها لم يكتب في حياة موسى ﷺ ولا بعده بزمن قريب ، وإنما كتب بعد زمن بعيد من غير أن يعرف كاتبها.

وهذا وحده كافٍ للتشكيك في صحَّة سيرة موسى ﷺ كما وردت في التوراة ، ولذلك ليس أمام المسلم أن يؤمن بشيء من صحة سيرته إلا ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ومثل ذلك يقال في سيرة عيسى. ﷺ
فهذه الأناجيل المعترف بها رسميًّا لدى الكنائس المسيحية إنما أقرت في عهد متأخر عن المسيح ﷺ بمئات السنين، وقد اختيرت — بدون مسوّغٍ علمي — من بين مئات الأناجيل التي كانت منتشرة في أيدي النصارى يومئذ .

ثم إن نسبة هذه الأناجيل لكاتبيها لم يثبت عن طريق علمي تطمئن النفس إليه، فهي لم ترو بسند متصل إلى كاتبيها، على أن الخلاف قد وقع أيضًا بين النقاد الغربيين في أسماء بعض هؤلاء الكاتبين من يكونون؟ وفي أي عصر كانوا ؟ (السباعي ، مصطفى ، د.ت ، ص 5)

ويقول الامام ابن كثير مبيناً أهمية هذا العلم :

"وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن." (ابن كثير، 1988 م، ج3 ،ص: 297)

معنى الحَمَاة

في السطور التالية سنوضح مصطلح الحماة ، ولعل الكثير منا يعرفه ، ولكن المعنى اللغوي للكلمة يعطى معانى أُخَرْ قد يجهلها الكثيرون.

والحَمَاةُ : مفرد ، جمعها: أَحْمَاء وحَمَوَات وهم : أقارب الزوج ، وهى كذلك أم الزوج أو أم الزوجة

(قلعة جي ، د.ت ، ج 1 ، ص3)

وحَمْوُ المرأَة وحَمُوها وحَماها: أَبو زَوْجها وأَخُو زوجها، وكذلك من كان من قِبَلِه يقال : هذا حَمُوها ، ورأَيت حَمَاها ، ومررت بحَمِيها ، وهذا حَمٌ في الانفراد ، وكلُّ من وَلِيَ الزوجَ من ذي قَرابته فهم أَحْماء المرأَة ، وأُمُّ زَوجها: حَماتُها ، وكلُّ شيء من قِبَلِ الزوج أَبوه أَو أَخوه أَو عمه ؛ فهم الأَحْماءُ والأُنثى حماةٌ لا لغة فيها غير هذه .

وحَمْو الرجل : أبو امرأته ، أو أخوها أو عمها ، وقيل الأحماء من قبل المرأة خاصة، والأختان من قبل الرجل ، والصهر يجمع ذلك كله. وحمى الشئ حمياً وحمي وحماية ومحمية : منعه ودفع عنه. (ابن منظور، د.ت ، ج 14 ، ص 197)

- والحامية: الرجل يحمى أصحابه في الحرب وهم أيضاً: الجماعة يحمون أنفسهم.
- ويقال: فلان على حاميه القوم: أي آخر من يحميهم في انهزامهم.
- وأحمى المكان: جعله حمى لا يقرب .
- والحامية: الحجارة التي تطوى بها البئر... والحوامى: ما يحميه من الصخر، واحدتها: حامية (الخطابي، 1402 هـ ، ج 2 ، ص 72)

والناظر لهذه المعاني جميعاً يتبين له أن معنى (الحماة) : من الحماية والمنع والدفع، والمعنى يوحى بأن الحما : هو الذي يحتمي به الزوج ، أو تحتمي به الزوجة فهو مصدر الأمان ، ومصدر الاستقرار ، لا مصدر الخوف والقلق ، والمشاكل ، والتعب والنصب ، كما هو معروف الآن في كثير من المشاكل التي نسمع عنها ونراها.

الأسرة المستقرة في الإسلام

الأسرة كيان اجتماعي يقوم على ارتباط رجل وامرأة برباط شرعي معلن ، تترتب عليه حقوق وواجبات على كل منهما للآخر .

وهذا الرباط هو الزواج الذي شرعته الديانات السماوية كلها ، وباركته ، واعتبرته السبيل الوحيد لتكوين الأسرة المشروعة. وهو يسير مع سنة الله العامة في هذا الكون سنة الازدواج في كل شئ ؛ قال تعالى:

(وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة الذاريات الآية :49)

هذه الزوجية أو هذا الازدواج في الكون : أن يلتقي الشئ ومقابلة ، كأن يلتقي الذكر والأنثى ويلتقي الموجب والسالب في الكهرباء، وغيرها حتى (الذرة) هي قاعدة البناء الكوني كله ، تتكون من إلكترون وبروتون ونواة ، والإلكترون : شحنة كهربية موجبة ، والبروتون مقابل له : شحنة كهربية سالبة.

ولهذا باركت الكتب السماوية كلها : زواج الرجل بالمرأة ، لأنه يسير مع الفطرة السوية ، مع قاعدة الزوجية المبثوثة في الكون كله فكل ما في هذا الكون أزواج ، ولها واحد إلا الله جل شأنه .

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (سورة يس الآية :36)

ولهذا جاء في سفر التكوين من أسفار التوراة:

(إن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بزوجته ، فيصير الاثنان جسداً واحداً) (سفر التكوين : 1- 24)

وأكد ذلك المسيح عليه السلام لتلاميذه أيضاً (إنجيل متى : 19 / 4- 6 وإنجيل مرقص : 10 / 6- 9.)

والأسرة الصالحة :هي التي تقوم على (الزواج المستقر) الذي يثمر التآلف والمودة ، وهو هدف من أهداف الحياة الإسلامية الطيبة ، وهو عنصر أساسي لاستقرار حياة الأفرادوالأسر والجماعات .

ولهذا حرص الإسلام عليه ، ووضع له من الأسس الفكرية والأخلاقية والتشريعية ما يكفل إقامة بنائه واستمرار عطائه ، وحراسته من عوامل التفكك والانهيار.

وأول ما يصنعه الإسلام هنا : أن يعرف المسلم حقيقة الزواج الذي شرعه الإسلام وأهدافه الكبرى ، حتى يقدم عليه على بصيرة من أمره ولا يتصوره تصوراً مغلوطاً ، فيترتب على هذا التصور سلوكيات مغلوطة أيضاً.

يجب أن يعي المسلم الذي يريد الزواج : أنه ليس مجرد ارتباط جسد بجسد بل ارتباط إنسان بإنسان. والإنسان عقل وضمير ووجدان وروح ، أكثر من كونه جسداً مادياً يتكون من الأجهزة والخلايا والأعصاب .

وليس معنى هذا : أن المتعة الجسدية وإشباع الغريزة بمعزل عن أهداف الزواج الشرعي ، كلها بل هي هدف أساسي من الأهداف لحاجة كلا الزوجين جنسياً إلى الآخر بحكم الفطرة وليستمتعا معاً بالحلال الطيب (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (سورة البقرة الآية: 178)

وليتدرب الإنسان المؤمن على صرف شهوته فيما يحل له ويحصن نفسه مما يحرم عليه وبذلك تنضبط الغرائز ويكبح جماح الشهوات .

وفى هذا خاطب نبى الإسلام الشباب فقال " : ﷺ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ- الزواج- فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ

بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ- الحماية) " البخاري ، 1987م ، كتاب النكاح،باب قول النبي ﷺ : من استطاع منكم الباءة فليتزوج، برقم 4778)

ولكن المؤمن يريد من الزواج ما هو أكثر من هذا وهو إنشاء بيت مؤمن وتكوين أسرة صالحة تكون مع غيرها نواه للمجتمع الصالح وهذا البيت المؤمن يقوم على أركان ثلاثة هي :

السكن والمودة والرحمة. التي ذكرها القرآن الكريم وجعلها من آيات الله ، وهى التي تظلل الحياة الزوجية المؤمنة . قال الله تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الروم الآية :21)

وليس الزواج في الإسلام مجرد رباط بين رجل وامرأة بل هو رباط بين أسرتين بالمصاهرة ، تلك الرابطة التي جعلها القرآن قريناً لرابطة الدم (القرضاوي ، 2005 م ، ص9-12) فقال تعالى :(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) (سورة الفرقان الآية : 54)

تعامل النبى ﷺ مع الحموين (أم الزوجة وأبيها)

إن العلاقة بين الرجل وحمويه – خاصة الحماة أم الزوجة – صارت مادة أساسية لكثير من النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات فالعلاقة – في نظر هؤلاء العابثين – لا تخرج عن دائرة الكراهية والصراع وتربص كل طرف بالآخر واستمر الأمر على هذا المنوال حتى ترسخ في الأذهان أن هذا هو الأصل والقاعدة وماعداه هو الشذوذ ، فإذا وجدوا إنساناً يحترم حمويه وتقوم علاقته بأهل زوجته على أساس من الاحترام والتقدير جعلوه موضع سخريتهم أو على الأقل أظهروا تعجبهم واندهاشهم من هذا الوضع (الشاذ) والأمر (الغريب) ولابد من تصحيح هذه الأوضاع الخاطئة وتقويم الأفكار المعوجة لذلك علينا

أن ننظر إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداه والقدوة العظيمة سيدنا رسول الله ﷺ فى كيفية تعامله مع الحموين لنقتفى أثره ونسير على نهجه.(أبو شبانه ، 1405 هـ ، ص 65)

معاملة النبى ﷺ لحماته.

مع قلة النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ في كيفية تعامله مع أم زوجته إلا أن هذا القليل يبرز ما كان يكنه النبى ﷺ لأم الزوجة من التقدير والتبجيل والاحترام .

فها هي أم رومان –رضى الله عنها– زوجة أبى بكر الصديق –رضى الله عنه – وأم السيدة عائشة –رضى الله عنها – وحماة النبى ﷺتحظى من زوج ابنتها النبى الكريم ﷺ بأسمى معاني التقدير وأرفع منازل التكريم حينما قال عنها فى حديثه الشريف " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ " (الحلبي ، 1400هـ،ج 2، ص274)

وعندما ماتت – رضى الله عنها – حزن النبى ﷺلفراقها وأسبغ عليها مزيداً من الرفعة والتكريم حينما نزل في قبرها ليلحدها بيديه الشريفتين ثم دعا لها بقوله : " اللَّهُمَّ إنك تعلم ما لاقت أم رومان في سبيلك ."(ابن حجر ،1412هـ ،ج8، ص: 207)

فهاهو النبى ﷺ يضرب المثل الأعلى في التعامل مع الحماة (أم الزوجة) إنه الإجلال والاحترام والتقدير لهذه المرأة فهذه كلمات النبى ﷺ التي تثلج الصدر؛ هذه الكلمات التي تفيض بالرحمة والأدب الجم والحنان والوفاء .

ويأتى الوفاء من رسول الله ﷺ عندما يقوم بنفسه ليلحدها ويدعوا لها، يا ليت الأزواج ينظرون إلى هذا الموقف من رسول الله ﷺ ويقتدون به بدلاً من اتباعهم للأباطيل الكاذبة والترهات الفارغة التى يروج لها أصحاب الفن الهابط والفكر الرخيص.

معاملة النبى ﷺ مع الحمو (والد الزوجة).

إن سيدنا أبا بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) هما أجل الصحابة قدراً وأرفعهم منزلة وهما صاحبا رسول الله ﷺ ووزيراه ومستشاراه المؤتمنان وهما أيضاً صهراه ووالدا اثنتين من أجل أمهات المؤمنين قدراً وأرفعهن منزلة عائشة وحفصة (رضي الله عنهما).

ولا يجهل مسلم – صغيراً كان أو كبيراً – محل ومكانة أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) فى قلب النبى ﷺ إذ تمتلئ كتب السنة المطهرة والسيرة المعطرة وكتب التراجم والتاريخ الإسلامى بما جاء عن النبى ﷺ في مناقب وفضائل هذين الصحابيين الجليلين ومدى محبته لهما وتقديره لمنزلتهما والذي تريد أن نركز عليه هو علاقة هذين الصحابيين بالنبي ﷺ على المستوى الأسرى والعائلى.

معاملة النبى لأبى بكر الصديق (رضي الله عنه).

فسيدنا أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) عانى الكثير هو وآل بيته (رضى الله عنهم) شهراً كاملاً أثناء محنة حديث الإفك إذ إنه لحكمة تربوية ربانية تأخر نزول الوحي ببراءة عائشة (رضى الله عنها) شهراً كاملاً تحدثنا عائشة عن جانب من هذه المعاناه فى حديثها الطويل عن هذه المحنة قائلة: "...وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ- أي لاينقطع-، وَلَمْ أَكْتَحِلْ بِنَوْمٍ- أي لا أنام- ، وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي ، وَقَدْ بَقِيتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي ، فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي ، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا ، وَلَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ.

فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ :

"أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ،

ثُمَّ تَابَ ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ." فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي- أَيْ اِسْتَمْسَكَ نُزُوله فَانْقَطَعَ - حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً " وَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ ، فَقَالَ : " وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ . "ﷺ إلى آخرالحديث.(مسلم، 1955م. كتاب التوبة ، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، برقم : 2770)

وفى موضع آخر عن الحديث تذكر – رضى الله عنها – أنها بقيت تلك المرة كلها لم تكن تعلم شيئا مما تموج به المدينة من حديث الإفك ولم تكن تنكر من النبى ﷺ شيئاً سوى أنها لم تجد من اللطف والمداعبة التي اعتادت عليها منه خاصة في حال مرضها، تقول السيدة عائشة – رضي الله عنها –

"فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسِلْنِي إِلَى بَيْتِ أَبِي ، فَأَرْسَلَ مَعِي الْغُلَامَ فَدَخَلْتُ الدَّارَ فَوَجَدْتُ أُمَّ رُومَانَ فِي السُّفْلِ وَأَبَا بَكْرٍ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ فَقَالَتْ أُمِّي:

مَا جَاءَ بِكِ يَا بُنَيَّةُ فَأَخْبَرْتُهَا وَذَكَرْتُ لَهَا الْحَدِيثَ وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مِثْلَ مَا (الَّذِي) بَلَغَ مِنِّي فَقَالَتْ:

يَا (أَيْ) بُنَيَّةُ خَفِّفِي (خَفِّضِي) عَلَيْكِ الشَّأْنَ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا حَسَدْنَهَا وَقِيلَ فِيهَا وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي.

قُلْتُ وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ : نَعَمْ قُلْتُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ نَعَمْ. وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَعْبَرْتُ (فَاسْتَعْبَرْتُ) وَبَكَيْتُ فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ فَنَزَلَ فَقَالَ لِأُمِّي مَا شَأْنُهَا قَالَتْ بَلَغَهَا الَّذِي ذُكِرَ مِنْ شَأْنِهَا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ قَالَ أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ أَيْ (يَا) بُنَيَّةُ إِلَّا رَجَعْتِ إِلَى بَيْتِكِ فَرَجَعْتُ".

(البخاري ، 1987م كتاب المغازي- باب حديث الإفك – برقم : 3910)

لله درك يا أبا بكر ، من رجل صابر راض بقضاء الله وقدره ، وواثق من براءة ابنته ، منتظر تفريج الكرب وزوال الهم والغم ، محتسب أجر هذه المحنة القاسية عند الله رب العالمين ، الذى اختاره واختار ابنته في بيت النبوة . ليكابدا معاناة المحنة وآلام الموقف

العصيب ، بغية أن يكون درسا عمليا، للمجتمع المسلم في كل زمان ومكان في مقاومة الشائعات الكاذبة .

وهذا الحادث ؛ حادث الإفك ؛ قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة التي يحبها ، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل .. شهراً كاملاً. علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

ولقد حاول أعداء الله تعالى اليهود وأعوانهم من المنافقين والمرجفين بالمدينة هدم صرح الدول الإسلامية وتمزيق أواصر الرسالة المحمدية من خلال ترويج هذه الاشاعة المدمرة حول رسول الله ﷺ وذلك بالمساس بشرف أهله وطهارة نبيه .ﷺ

وعاش المسلمون جميعاً هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق ، وفي ظل تلك الآلام الهائلة ، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات.

وإن الإنسان ليقف مُتململاً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجه المقربة. وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة.تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيقة.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة. ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها. ها هي ذي تُرمى في أعز ما تعتز به. ترمى في شرفها. وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع. وترمى في أمانتها .

وهي زوج محمد بن عبد الله من ذرية بني هاشم. وترمى في وفائها. وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير .. ثم ترمى في إيمانها. وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام ، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة. وهي زوج رسول الله. ﷺ

ها هي ذي ترمى ، وهي بريئة غافلة ، لا تحتاط لشي ء ، ولا تتوقع شيئاً فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله ، وتترقب أن يرى رسول الله رؤيا، تبرئها مما رميت به .

ولكن الوحي يتلبث ، لحكمة يريدها الله ، شهراً كاملاً وهي في مثل هذا العذاب. (قطب ، 1391 هـ ، ج6- ص 69)

ومن النماذج الأخرى في معاملة النبي ﷺ لأبي بكر الصديق هذا الموقف الذي يحكيه لنا النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ:

"جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: " أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ "، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا . (ابن حنبل ، 2001 م ، ج4/ 275(18611) وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم)

معاملة النبى لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

فإذا انتقلنا إلى الفاروق (رضى الله عنه) صهر رسول الله (ﷺ) ووالد زوجته أم المؤمنين السيدة حفصة (رضى الله عنها) وجدنا تكريم الرسول (ﷺ) له واضحاً فى قول عمر نفسه لابنته – حينما أخبرته أن نساء النبى (ﷺ) يراجعنه حتى يظل يومه غضبان يقول عمر :

"فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَقُلْتُ لَهَا يَا حَفْصَةُ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِى رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لاَ يُحِبُّكِ. وَلَوْلاَ أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–. فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ

فَقُلْتُ لَهَا أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَتْ هُوَ فِى خِزَانَتِهِ فِى الْمَشْرُبَةِ– الغرفة العالية– . فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ– أي: عتبة الباب– الْمَشْرُبَةِ مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ– الجذع المنقور يجعل فيه الدرج يصعد عليه إلى الغرف– مِنْ خَشَبٍ وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَيَنْحَدِرُ فَنَادَيْتُ : يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِى عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَىَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . ثُمَّ قُلْتُ يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِى عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَىَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِى فَقُلْتُ : يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِى عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَإِنِّى أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ظَنَّ أَنِّى جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَنِى رَسُولُ اللَّهِ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا .

وَرَفَعْتُ صَوْتِى فَأَوْمَأَ إِلَىَّ أَنِ ارْقَهْ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِى جَنْبِهِ فَنَظَرْتُ بِبَصَرِى فِى خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا– شجر يدبغ به – فِى نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ– الجلد الذى لم يتم دباغه – مُعَلَّقٌ ، قَالَ – فَابْتَدَرَتْ عَيْنَاىَ قَالَ:

"مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ». قُلْتُ يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَمَا لِى لاَ أَبْكِى وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِى جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِى الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. فَقَالَ « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ». قُلْتُ بَلَى . "

(مسلم ،1955 م كتاب الطلاق – باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى وإن تظاهرا عليه– برقم 1479)

وعن ابن أبي مليكة: " أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فجزع عمر وهلع وقال: لو كان لله من آل عمر حاجة ما طلق رسول الله صلى الله عليه حفصة، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه للصلاة أذن بلال ثم أقام الصلاة، فلما قام رسول الله صلى

الله عليه من القبلة رجع حتى أتى بيت حفصة فقال: "إن جبريل عرض لي من القبلة فقال: راجع حفصة فإنها صؤوم قؤوم وإنها زوجتك في الجنة" (الهيثمي، في مجمع الزوائد 9/ 245 وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح عن قيس بن يزيد" وفيه عن عمار بن ياسر، وقال: رواه الطبراني والبزار وفي إسناديهما الحسن بن جعفر وهو ضعيف)

وقد ظل هذا الموقف النبوى الكريم عالقاً بذهن الفاروق (رضى الله عنه) حافظاً للنبى ﷺ جميل معروفه وعظيم صنيعه يخشى أن يتكرر الموقف مرة أخرى فتكون الطامة الكبرى والمصيبة العظمى فقد ورد عن ابن عمر – رضي الله عنهما – : " أن عُمَر دخل عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ، لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَكِ ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ طَلَّقَكِ ، ثُمَّ رَاجَعَكِ مِنْ أَجْلِي ، فَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ طَلَّقَكِ لاَ كَلَّمْتُكِ كَلِمَةً أَبَدًا.) (ابن حبان ،1993م. ج10 – ص 101)

وفي رواية أخرى : فنزل جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر. (الهيثمي في "المجمع" 333/4 و244/9 وقال: فيه عمرو بن صالح الحضرمي، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.)

معاملة النبى ﷺ لأبى سفيان بن حرب (رضى الله عنه).

وإذا انتقلنا إلى صهر آخر لرسول الله ﷺ وهو أبو سفيان بن حرب، رضي الله عنه .

زعيم قريش وكبيرها ، ووالد أم المؤمنين أم حبيبة (رضى الله عنها) فهل لنا أن نعتبر ما حدث عام الفتح من باب التكريم والتقدير لوالد الزوجة ؛ بالاضافة إلى الاعتبارات الشرعية والسياسية والشخصية الأخرى التى جعلت النبى ﷺ يستجيب لطلب عمه العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) حينما قال :

يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً فقال ﷺ : نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن (ورواه ابن إسحاق في السيرة بإسناد حسن (ابن هشام 4/ 62– 67)

وأغلب الظن أن كون أبى سفيان صهراً لرسول الله ﷺ كان مأخوذاً فى الاعتبار ولو بنسبة ضئيلة خاصة وأن أبا سفيان حتى قبل إسلامه كان يتباهى بهذه المصاهرة ويفتخر على الناس بهذا الزواج مع أنه فى هذا الوقت العدو الاول للاسلام ولرسول الله ﷺ كونه زعيم قريش وسيد سادتها . (أبوشبانة ، ص: 68)

منهج النبى ﷺ في التعامل مع زوج البنت.

يحتاج المسلمون أيما احتياج إلى التأسى بنبيهم ﷺ في هذا الجانب فالعلاقة بين الحمو وزوج البنت في مجتمعنا المعاصر تحتاج إلى إعادة نظر وتصحيح للأوضاع.

وهذه بعض المواقف الكريمة والمشاهد العظيمة في حياة النبي ﷺ تلقى بعض الضوء على تكريمه ﷺ لأزواج بناته ومحبته لهم وتقديره لمكانتهم.

تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع عثمان بن عفان(رضى الله عنه).

ذو النورين عثمان بن عفان (رضى الله عنه).أطلق عليه هذا اللقب كما هو معروف ؛ لأنه حظي بزواج اثنين من بنات الرسول ﷺ تزوج أولاً بالسيدة رقية (رضى الله عنها) فلما ماتت زوجه النبى ﷺ أختها أم كلثوم (رضى الله عنها) وعندما ماتت هي الأخرى قال النبي " : ﷺ لو كان لنا ثالثة لزوجناك " (الأندلسي ، 1405 هـ. ص161)

وهذا يدل على محبة النبى ﷺ له ويدل في الوقت ذاته على حسن معاشرته وكرم معدنة وطيب أخلاقه.

لهذا أحبه النبى ﷺ وأكرمه وأسبغ عليه كثيراً من الفضائل والمحامد والمناقب التي تضمنتها أحاديث كثيرة للنبي ﷺ ولم لا ؟ وهو واحد من العشرة المبشرين بالجنة ، وثالث الخلفاء الراشدين وسيرته وجهاده وإنفاقه في سبيل الله لا يخفى على أحد العلم به، وهذا نموذج يوضح لنا تقدير النبى ﷺ لسيدنا عثمان (رضى الله عنه) وتكريمه له.

"فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِهِ كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ – أَوْ سَاقَيْهِ – فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ :

أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَان فَجَلَست وسوَّيت ثِيَابك فَقَالَ: «أَلا أستحي من رجل تَسْتَحي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟«

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجته» (مسلم ، 1955م ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه- برقم2401)

تعامل النبي ﷺ مع أبي العاص بن الربيع (رضى الله عنه)

هذا هو أبو العاصى بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ يقف موقفاً كريماً حينما يتصدى بكل قوة للضغوط التى مارستها عليه قريش ليطلق زوجته ويفعل كما فعل ابنا أبى لهب حينما طلقا ابنتى رسول الله ﷺ وساوموه فى ذلك أكثر من مرة عارضين عليه الزواج بأى امرأة يريدها ولكن يرفض بكل قوة قائلاً :

"لا والله لاأفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش " (الكلاعي، 1417هـ. ج2، ص36)

ويحفظ له النبى ﷺ هذا الموقف الكريم وتمر الأيام ويقع أبو العاص بن الربيع أسيراً فى أيدى المسلمين فى غزوة بدر فتبعث زوجته فى فدائه بمال ضمنته قلادة كانت أمها السيدة خديجة (رضى الله عنها) وهبتها لها عند زواجها فلما رآها رسول الله ﷺ رق قلبه رقه شديدة لذكرى الزوجة الحنون لوفاء ابنته لزوجها صاحب الموقف الكريم

وكان يمكن له ﷺ أن يصدر قراراً بالعفو التلقائى عن زوج ابنته ولكن ﷺ رغم وفائه لذكرى زوجته الغالية ورغم حبه لابنته العزيزة ورغم تقديره لزوج ابنته- صاحب الموقف الكريم – رغم هذا كله يريد أن يربى أولاده وأن يعطى الاسوة الحسنة والمثل الاعلى للدنيا

كلها فلا يستخدم حقه فى العفو عن زوج ابنته أبى العاص وإطلاق سراحه دون فداء بمال –كما فعل مع بعض الاسرى.

ولكن يعرض الامر على أصحابه ويفوضهم فى إصدار القرار قائلاً :

"إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا إِلَيْهَا مَتَاعَهَا فَعَلْتُمْ " ، قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَطْلَقُوا أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ وَرُدُّوا عَلَى زَيْنَبَ قِلاَدَتَهَا وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الْعَاصِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهَا إِلَيْهِ فَوَعَدَهُ ذَلِكَ فَفَعَلَ. " (ابن سعد ، 1968 م. ج8 ،ص: 31)

وكان أبو العاص وفياً كريماً فأوفى بعهده.

ثم دارت الأيام دورتها ووقع أبو العاص مرة أخرى أسيراً فى يد سرية للمسلمين أصابوا ما معه من أموال كان عائداً بها من رحلة تجارية فى الشام ولكن استطاع الافلات منهم وكمن فى مخبأ حتى أرخى الليل سدوله فدخل المدينة قاصداً بيت زوجته (رضى الله عنها) مستجيراً بها فلم تتردد فى إجارته وحمايته وفوجئ المصطفى ﷺ حين كبر لصلاة الصبح ، زينب تقول من المكان المخصص للنساء:

أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما انصرف ﷺ من صلاته أقبل على الناس قائلاً : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟! قالوا : نعم قال : أما والذي نفسى بيده ما علمت بشئ حتى سمعت من ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم .

وانصرف النبى ﷺ قاصداً بيت زينب (رضى الله عنها) ولا شك إنه وهو في الطريق قد تنازعته احساسات شتى ، بشأن ابنته المسلمة التي يكن لها كل حب وحنان وبشأن زوجها المشرك الذي فرق الإسلام بينها وبينه ولكنها مع ذلك لم تجد بأساً فى أن تجيره.

وهكذا دخل رسول الله ﷺ على ابنته فقال لها مؤكداً حكم الله تعالى في زوجها : أى بنية أكرمى مثواه ولكن لا يخلص إليك فإنك لا تحلين له.

وبعث رسول الله إلى رجال السرية الذين غنموا أموال أبى العاص يعرض عليهم ما يظنه خيراً دون أن يلزمهم بأمر أو ينازعهم فى حق قائلاً :

إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم به مالاً فإن تحسنوا تردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيئ الله الذي فاءه عليكم فأنتم أحق به!!

ولقد كان لهذا للأسلوب الكريم أثره الطيب في كل ناحية لم يتردد رجال السرية في رد ما أخذوه عن طيب نفس منهم ..... وأيقن أبو العاص من موقف النبي ﷺ منه أن الإسلام هو بحق الدين المبعوث بمكارم الأخلاق وأن محمداً هو الصادق فيما يدعو إليه ، الأمين فيما يبلغ عن ربه فعاد إلى قومه ورد إليهم أموالهم وأعلن إسلامه ولحق برسول الله ﷺ بالمدينة . (يوسف ، 1979م . ص 219 ، 220)

تأمل معي – أيها القاريء الكريم- هذه المواقف النبوية الجليلة:

إن فيها من المعاني والدلالات ما نحتاج إلى مجلدات ضخام لبيانه وتوضيحه ويكفى في مقام الحديث عن الاسوة الحسنة في تعامل النبي ﷺ مع زوج ابنته. ما تؤكده هذه المواقف من تكريم النبى ﷺ وتقديره لزوج ابنته حتى وهو على شركه وكفره الأمر الذى له أثر عظيم فى اهتداء الرجل أخيراً إلى الصراط المستقيم والطريق القويم فشهد شهادة الحق وأعلن إسلامه بعد أن عاد إلى مكة وأعطى الحقوق لأهلها والاموال لأصحابها .

فرضى الله عنك أبا العاص بن الربيعﷺ وبارك على صهرك محمد سيد المرسلين وخاتم النبين، ويا ليت أتباعه يقتدون بنهجه ويسلكون دربه ليسعدوا ويفوزوا فى الدنيا والاخرة.

تعامل النبي ﷺ مع على بن أبى طالب– رضى الله عنه –

في هذه السطور نتعرض لمعاملة النبي ﷺ مع زوج ابنته ؛ السيدة فاطمة (رضى الله عنها) ونسلط الضوء في هذا المقام على تعامل النبى ﷺ مع مشكلة وقعت بين فاطمة (رضى الله عنها) وزوجها على بن أبى طالب ليقتدى الناس برسولهم ﷺ فتعمر البيوت ويسعد

الناس بدلاً من المشكلات التى تقضى على المودة والرحمة وتجعل الزوجين يقفان أمام بعضهما فى ساحات القضاء خصمين عنيدين بدلاً من أن يكونا فى بيتهما زوجين سعيدين .

"فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ – قَالَ – فَدَعَا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتِمَ عَلِيًّا – قَالَ – فَأَبَى سَهْلٌ فَقَالَ لَهُ أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَقُلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا التُّرَابِ. فَقَالَ سَهْلٌ مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِى التُّرَابِ وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ إِذَا دُعِىَ بِهَا .

فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنَا عَنْ قِصَّتِهِ لِمَ سُمِّىَ أَبَا تُرَابٍ قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِى الْبَيْتِ فَقَالَ « أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ »؟

فَقَالَتْ كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ شَىْءٌ فَغَاضَبَنِى فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– لإِنْسَانٍ:

» انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ». فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِى الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : « قُمْ أَبَا التُّرَابِ قُمْ أَبَا التُّرَابِ » (مسلم ، 1955م ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب ، برقم : 2409)

فانظر إلى أدب النبوة الرفيع إن فاطمة حينما سألها أبوها عن زوجها لم تزد على أن قالت : كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى إنها لم تفعل كما تفعل بنات اليوم حينما لا تكاد الواحدة منهن ترى أباها أو أمها إلا وتأخذ فى سرد ما كان بينها وبين زوجها مما يكون بعضه صحيحاً وأغلبه لا يخلو من مبالغات وتضخيم لأشياء تافهة لا تستحق الذكر ولا تستأهل الاهتمام.

بل إن بعض الروايات تذكر أن رسول ﷺ هو الذى لاحظ تغيراً فى وجه ابنته فلما سألها قالت : ما كنت لأفشى سر زوجى على ولو كام ذلك لأبى النبى ..

فيا للعظمة ويا للروعة. ثم ننظر إلى سؤال النبى ﷺ عن زوج ابنته بل إلى اجتهاده فى البحث عنه وتكليفه إنسان بمحاولة العثور عليه كل هذا بهدف استرضائه وإنهاء الخصومة الطارئة بينه وبين زوجته .... وليس كما يفعل بعض الآباء و الامهات حينما يكتفيان بسماع شكاية ابنتهما ثم يأخذان فى سب ولعن زوج البنت بأخذع السباب وأشنع الشتائم دونما انتظار لسماع قوله ودفاعه وربما تكون ابنتهما هى الظالمة المعتدية ولكنهما يندفعان للحكم عليه بناء على دموع ابنتهما التى تكون دموع التماسيح.

والأجمل والأروع أن يذهب النبي ﷺ بنفسه إلى زوج ابنته النائم في المسجد ليوقظه ويمسح التراب عن ظهره ويمازحه هذا المزاح اللطيف ويداعبه هذه المداعبة الطريفة فيناديه بهذه الكنيه (أبا التراب) التي ظل على بن أبى طالب (رضى الله عنه) كما يقول سهل بن سعد في الحديث – أحب أسمائه إلى قلبه , وتذكر الروايات أن الرسول الله ﷺ أخذ بيد على (رضى الله عنه) – وعاد به إلى البيت وتعمد أن يتأخر قليلاً ليدخل زوج ابنته أولاً ليلقى السلام على زوجته فترد عليه السلام بدورها فينتهي الإشكال وتنتهي الخصومة دون أن يعلم النبي ﷺ من أسبابها شيئاً .... وقد كان ذلك بحمد الله ... فما أشد احتياج المسلمين الإقتداء بهدى بنيهم سيد المرسلين (الشريف ، 1992م ، ص 67- 68)

وهكذا يضرب النبي ﷺ المثل الأعلى لآباء الزوجات أن يتعاملن بحكمة مع زوج البنت وهكذا كان رسول.ﷺ وأحب أن أشير هنا إلى بعض المواقف الاخرى من رسول الله ﷺ تجاه على بن أبى طالب وابنته فاطمة .

فقد علم ﷺ أن فى بيت على خلاف بينه وبين زوجته فيدخل عليهما النبى ﷺ ويحس بهذا الخلاف فيلقى النبى ﷺ إليهما وسادة فيجلس على جانب وفاطمة من الجانب الآخر شعر ما بينهما فأخذ بيد على ووضعها على سرته ومازال حتى أصلح ما بينهما.

خرج وهو مسرور ... فرح. قيل له : دخلت على حال وخرجت والبشر فى وجهك ؟ قال :وما يمنعنى وقد أصلحت بين أحب اثنين إلىّ

ويوماً دخل رسول الله ﷺ على عليّ وفاطمة وهما يضحكان فلما رأيا النبى ﷺ سكتا فقال لهما النبى :ﷺ مالكما كنتما تضحكان فلما رأيتمانى سكتما ؟

فبادرت فاطمة فقالت بأبى أنت يا رسول الله قال أى على بن أبى طالب , أنا أحب إلى رسول الله منك فقلت : بل أنا أى فاطمة أحب إلى رسول الله منك فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

يا بنيه لك رفه الولد .. وعلى أعز عليّ منك . (أخرجه الطبرانى (66/11، رقم 11063) قال الهيثمى (202/9) : رجاله رجال الصحيح .) وهكذا البيوت جميعها تعيش لحظات كثيرة من الضحك والسعادة وأخرى فيها ما يعكر صفو الحياة الزوجية. (الشريف ، 1992م ، ص 67- 68)

فاطمة (رضى الله عنها) وحماتها

نعيش مع الزوجة المخلصة الوفية سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة – (رضى الله عنها) الزوجة المثالية والبنت البارة بأبيها ﷺ وابنة السيدة خديجة (رضى الله عنها) والتى تعلمت من والدتها الوفاء والاحترام ورعاية الزوج

نعيش معها فى بيتها مع حماتها السيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية القرشية وهى أول هاشمية تلد هاشمياً.

إن فاطمة بنت أسد نعرفها فهى زوج أبى طالب أسلمت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) وهاجرت من مكة إلى المدينة .

وكان النبي ﷺ يزورها كثيراً ويقضى القيلولة عندها بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب.

تكفل أبو طالب بابن أخيه محمد بن عبد الله وكانت زوجه فاطمة بنت أسد تقوم على رعايته كما عبر عن ذلك النبى ﷺ حين قال:

"رحمك الله يا أمى كنت أمى بعد أمى تجوعين وتشبعيننى وتعرين وتكسيننى وتمنعين نفسك طيبها وتطعمينى وتريدين بذلك وجه الله." (أخرجه الطبرانى (351/24، رقم

871) قال الهيثمى (257/9) : فيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح .)

هذه فاطمة بنت أسد .. وهذا خلقها من البداية أكرمت ابن أخى زوجها محمد ﷺ وما كانت النبوة قد جاءته كرماً، وصفها الصادق الأمين بهذه الكلمات المعبرة فكيف بها اليوم بعد أن آمنت به نبياً ورسولاً وها هى ابنته التى هى بضعة منه تأتى بيتها عروساً لابنها ما أسعدها بأن تقوم على رعايتها وما أحرصها على راحتها !! يا ترى كيف تسير الحياة داخل هذا البيت .

ينظم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) العمل بذكاء وبراعة ... بين الأم والزوجة يقول : يا أماه : إن فاطمة شابه صغيرة فأنت تكفيها العمل خارج البيت من شراء الحاجيات من الأسواق وما شابه ذلك وفاطمة تقوم على أمر البيت من الداخل. (ابن الجوزي ، 1999م . ج1، ص65)

لقد كان على فقيراً ونشأ وتربى فى بيت رسول الله ﷺ لان أباه كان كثير العيال فأراد النبى ﷺ أن يخفف عنه فأخذ علياً عنده ... وحياة علىّ كانت للدعوة إلى هذا الدين العظيم ثم هجرة لله وتضحية فى سبيل الله كما فعل المهاجرون.

وفى دار الهجرة لم تكن الحياة سهلة .. لقد بدأ الجهاد لصد الاعداء ونشر الاسلام وتحرير العباد من عبادة العباد ... إلى عبادة الله الواحد القهار وأسباب المعيشة ليست ميسرة فالماء يجلب بالسقاء (القربة وأمثالها) ويحمل فى القراب .. والقمح والشعير يحتاج إلى الطحن .. والعجن والاسواق متناثرة حول المدينة .. والخروج إليها لجلب وشراء الحاجيات متعب وبخاصة للفتاه الصغيرة.

ولا قدرة لعلىّ أن يستخدم خادماً .. وعلىٌّ يسعى للحصول على رزقه ... كما يقوم بواجبه نحو دينه ... والجهاد وعلى الرغم من كل هذا تحقق للبيت السعادة والاستقرار وأدت فاطمة واجبها نحو أم زوجها وأكرمت فاطمة بنت أسد زوج ولدها. لم يحدث ما

يعكر صفو الحياة كما يحدث بين الحموات والزوجات فهل أخذنا الدرس المستفاد من ذلك؟!

ليتنا ندرك فعل السلف الصالح .. وخلق السلف الصالح وحياتهم الهادئة .. وبيوتهم السعيدة التى تقوم على المودة والرحمة هذا هو خلق فاطمة بنت محمد ﷺ وهذا هو خلق فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) .

وتسير الحياة على خير حال حتى جاء القضاء ولقيت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) ربها وهنا تتجلى لنا مكانتها الكبيرة لما سبق منها من خير للنبى ﷺ فى أول حياته ولابنته من بعده فيلبسها النبى ﷺ قميصه ويضطجع فى قبرها قبل نزولها ويقول :

الله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها بحق نبيك والانبياء قبلى فإنك أرحم الراحمين.

ويسأل النبى : ﷺ ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه .

قال النبى : ﷺ لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها إنما ألبستها قميص لتكسى من حلل الجنة وأضجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب القبر ، رضى الله عن فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) (الشريف ، 1992م ، ص 49)

والناظر إلى هذا البيت السعيد الذى سعد بسيدة نساء العالمين فاطمة (رضى الله عنها) والزوج التقى أبو الحسن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) – والحماة أم الزوج فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) –كان لكل منهم دور فى استقرار هذا البيت السعيد.

الزوج : هو الاساس فى حسن العلاقة بين الزوجة والأم لم يترك الأمر فى البداية للظروف والاحوال بل عمل من أول وهلة على تنظيم العمل بذكاء وبراعة بين الأم وزوجته .

انظر إلى كلماته الحانية وأسلوبه اللطيفة: مخاطباً أمه : (يا أماه) وهو أسلوب راق فى الخطاب ، يقرر لها حال زوجته ويعفيها من أن تتحدث هى فهى شابة صغيرة تخجل أن تخرج لتتسوق وتشترى الحاجيات .. فقد بين الزوج عمل الأم هنا .

ثم وضح عمل الزوجة أنها تكفيها مؤنة العمل داخل البيت من إعداد الطعام وغسل الملابس وكنس البيت وما أشده من عمل ؟!

لم تعترض الأم الحنون فاطمة بنت أسد على هذه الوظيفة ، ولم تتأفف من كلام ابنها ، بل رضيت مطيعة وقامت بهذا العمل ، لم تنفر يوماً من عملها ولم تطلب يوماً أن تحال الأعمال كلها إلى الزوجة ، بل عملت راضية حتى أتاها اليقين فلقت ربها . ﷺ وكان إكرام الله ﷻ لها وإكرام رسول ﷺ لها فى قبرها بالدعاء.

الزوجة : السيدة فاطمة – (رضى الله عنها) –كان عاملاً أساسياً في استقرار هذه الحياة فقد قامت بواجبها على التمام ، على الرغم من قلة مال على (رضى الله عنه) فقد تزوجها على بن أبى طالب وليس لهما غير فراش بسيط من الجلد ينامون عليه وليس لهما خادم يقوم بتخفيف الأعباء عنهما في البيت ومع ذلك ففاطمة سعيدة بحياتها الجديدة في بيت على – تقوم بمسؤليتها على خير وجه تبذل الجهد ، تعانى من المشقة وهى الفتاة للصغيرة ، تطحن وتعجن وتخبز وتعلف الدواب وتنظف البيت وعلىّ مجتهد في عمله الخارجي وتحملت فاطمة ذلك بصبر ورضا ، مهما بلغت المشقة بها ، مهما نال منها التعب والإجهاد ، عسى الله أن يأتي بالخير ويحقق الآمال بمن يعاونها في ذلك.

فإن الأولاد يحتاجون إلى رعاية والحمل والإرهاق والولادة وما يصاحبهما لعل الله يسوق من يساعدها – لترتاح وانتصر النبي ﷺ وجاءته غنائم وفئ – فيها الرقيق من مال وعبيد والأطعمة والدروع والسيوف وغيرها ... وتتجاذب فاطمة أطراف الحديث مع علىّ.

قال على : يا فاطمة قد سنوت (حملت الماء) حتى اشتكى ظهري والغنائم بين يدى أبيك ما سألته خادماً.

قالت : لقد طحنت حتى مجلت يداى –كونت قشرة على الجلد– وذهبت فاطمة إلى النبي ﷺ لتكلمه في أمرها وأمر على ... ونظر الوالد الكريم إلى وجهها وعينها وتفرس فيها وأدرك أنها جاءت لشئ أو لحاجة لها . قال لها : ما جاء بك يا فاطمة ؟

قالت : جئت لأسلم عليك... عقد الحياء لسانها فلم تفصح عن رغبتها وعادت إلى البيت وعلى يترقب مجيئها وما أسفرت عن مقابلتها لأبيها .. من تلبية طلبها .. وتحقق أملها.

ويسأل على : ما فعلت ؟ فتجيب : استحييت أن أسأله ويدور حوار بينهما وبينه إلى الاتفاق على لقاء النبي ﷺ معاً حتى يشجع كل منهما الآخر في إبداء الطلب ، وذهبا إلى بيت النبي ﷺ فاستأذنا في الدخول عليه . فأذن لهما.

وقال على : " وَاللهِ لَقَدْ سَنَوْتُ – يعني: استقيت– حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ– أي: ارتفع جلدها، وحصل فيها ما يشبه القبة – ، وَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ فَأَخْدِمْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ " : ﷺ وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ") (ابن حنبل ، مسند أحمد – (2 / 203)– وقال محققوه : إسناده حسن)

أرأيت مدى شعور الحاكم المسلم بالمسئولية عن رعيته ؟ شعور يجعله يفضل أهل الصفة فقراء المسلمين على ابنته وزوجها – حتى لا يميز أهل بيته ولا يعطيهم ما لا حق لهم فيه.

مع أن على وفاطمة لهما سبق فى الاسلام لهما جهاد فى سبيل الله ؛على مهاجر وفاطمة مهاجرة .. على ينام فى فراش النبى ﷺ يوم الهجرة وشباب قريش حول البيت يريدون قتله...

على حارب وجاهد يوم بدر . على حارب وجاهد يوم أحد.

فليحمل على القربة على ظهره ، لتطحن فاطمة طعامها وتعجنه أما مال المسلمين فإن فقراء المسلمين أحق به ... أهل الصفة الذى لا يجدون الطعام والشراب أحق به...

يا ترى من فى دنيا الناس من حكام المسلمين يشعر بهذا الاحساس ويفضل فقراء المسلمين على أبنائه ؟ هذا شعور من يرجو الله واليوم الآخر (الشريف ، 1992م ، ص 63)

عاد على وفاطمة – راضيين بحكم الله ورسوله ولكن . هل تتركهما الرحمة المهداة دون أن تطيب خاطرهما بفيض النبوة وهديها حتى تهدأ النفوس وتتوجه إلى ما يرجوه لهما النبى ﷺ من أجر الآخرة ... يأتى إلى دارهما النبى العظيم ﷺ وقد أويا إلى الفراش وكان لهما غطاء إذا غطيا رءوسهما تكشف الاقدام وإن غطيا الاقدام تكشف الرءوس فلما رأوه قاما من الفراش ونهضا للقائد حباً وتقديراً ومودة ورحمة ، قال : ﷺ مكانكما ألا أخبركما بخير مما سألتمانى.

قالا : بلى قال : كلمات علمنيهن جبريل .. تسبحان دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين . وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين خيرا لكما من خادم

(ابن حنبل ، مسند أحمد – (2 / 203)– وقال محققوه : إسناده حسن)

ما أروع هذا الحنان ! وما أعظم هذا الهدى ولم لا وهو هدى الرسول الخاتم ، يرشدهم إلى التى هى أحسن وأفضل وهذا خير من خادم .

ونجد أنفسنا أمام من يستجيب للنصيحة ويحافظ عليها ويسأل رجلاً علياً هل حافظت عليها ؟ قال على

والله ما تركتهن منذ تعلمتهن قبل ولا يوم صفين. قال ولا يوم صفين . (ابن حنبل، مسند أحمد – (2 / 203)– وقال محققوه : إسناده حسن)

وفى تعليم النبى ﷺ هذا الذكر لابنته وزوجها عبرة وعظة لكل إمرأة يثقل عليها العمل فى البيت من خبز وغسل وكنس وتربية الاولاد أن تذكر الله ﷺ قبل نومها وفى دبر كل صلاة فهو دواء مجرب لمن يشتكى أو تشتكى من كثرة العمل ومشقته.

وياله من دعاء ودواء ناجح.وياليت بيوت المسلمين تتعلم من هذا البيت السعيد الذى أسس على التقوى والوفاء والتعاون بين الزوج والزوجة والحماة.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين الذى بنعمته تتم الصالحات ،وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ خير خلق الله ، خاتم النبيين والمرسلين ، ورضى الله عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،

قد انتهيت – بتوفيق الله تعالى – من دراسة هذا البحث والذى كان بعنوان) التعامل مع الحَمَوَيْن في ضَوْءِ سيرة النبي ﷺ وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج وتوصيات؛ أهمها :

أولاً: النتائج :

1. إن السيرة النبوية نبراساً يهتدي به المسلمون في جميع مجالات حياتهم ؛لأنهم يقتدون بأفضل الخلق النبي محمد – صلى الله عليه وسلم.-
2. إن الأسرة هي اللَّبنة الأساسية في بناء المجتمع ولقد اهتم ببنائها النبي – صلى الله عليه وسلم – وقوى دعاءمها ، وحث على حمايتها ورعايتها.
3. حرص النبي ﷺ على تقوية الصلة بينه وبين حمويه، فأحسن إلى حماته أم رومان أم زوجته السيدة عائشة – رضي الله عنها- وكذلك كان باراً بآباء زوجاته ؛ أبي بكر وعمر وأبي سفيان – رضي الله عنهم أجمعين -
4. اهتم النبي ﷺ بأزواج بناته ؛ فأحسن إليهم وراعى جانبهم ؛ وذلك لسعادة بناته؛ وتقوية الصلة بين الأسرتين ؛ وهذا واضح في معاملته – صلى الله عليه وسلم – إلى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي العاص بن الربيع ــ رضي الله عنهم – أجمعين.

شكر وتقدير Acknowledgments

يتقدم الباحث بالشكر إلى **Sultan Ahmad Shah Pahang Islamic University** (**Unipsas**)، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

تضارب المصالح Conflict Of Interests

يعلن ويعترف الباحث بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

مساهمات الباحث / الباحثين Authors' Contributions

صمم الباحثون هذه الدراسة كلها سويا.

ثانياً : التوصيات:

1. ضرورة اهتمام الآباء ببناتهم وأبنائهم وخاصة أقارب أزواجهم ؛ لأن ذلك مما يقوي صلة الرحم بينهم , ويجعلهم سعداء في بيوتهم.
2. ضرورة اهتمام الآباء بمشاكل أولادهم والبحث عن حلول لها وذلك عن طريق النظر في سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم –
3. إقامة دورات تثقيفية وتدريبية عن التعامل مع الأزواج في ظلال السيرة النبوية ، وكذلك دورات عن كيفية حل المشاكل الأسرية التي انتشرت في المجتمع.

والحمد لله أولاً وآخراً ... وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

References

Al-Qur'ān al-Karīm

Al-Kitāb al-Muqaddas (al-'ahd al-qadīm – al-'ahd al-jadīd)

AIbn al-Jawzī, 1999M. Ṣifat al-Ṣafwah. Ṭ1. al-Manṣūrah. Maktabat al-īmān.

AIbn Ḥibbān, 1993M. Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān. taḥqīq Shu'ayb al-Arna'ūṭ. ṭ2. Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah.

Al-Andalusī, Muḥammad ibn Yaḥyá. 1405 H. al-Tamhīd wa-al-bayān fī maqtal al-Shahīd ‘Uthmān. taḥqīq Maḥmūd Yūsuf Zāyid. Qaṭar: Dār al-Thaqāfah.

AIbn Ḥanbal, Aḥmad. 2001 M. Musnad Aḥmad. taḥqīq Shu‘ayb al-Arna’ūṭ-‘Ādil Murshid wa-ākharūn. Ṭ1. Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah.

AIbn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. D. t. Lisān al-‘Arab. Bayrūt: Dār Ṣādir.

Abū Shabānah, Yāsir. 1405 H. fī dhikrá al-Mawlid al-Nabawī al-Sharīf. Dār al-Tawzī‘ wa-al-Nashr al-Islāmīyah. al-Qāhirah.

Abū Fāris, Muḥammad. 1418h-1997m. al-sīrah al-Nabawīyah dirāsah wa-taḥlīl. Ṭ1. ‘Ammān: Dār al-Furqān.

Abū Fāris, Muḥammad. D. t. al-Madrasah al-Nabawīyah al-‘askarīyah. ‘Ammān: Dār al-Furqān.

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl. 1987m. al-Jāmi‘ al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar. ṭ3. Bayrūt: Dār Ibn Kathīr.

Al-Ḥalabī, ‘Alī ibn Burhān al-Dīn. 1400 H. al-sīrah al-Ḥalabīyah fī sīrat al-Amīn al-Ma’mūn. Bayrūt. Dār al-Ma‘rifah.

Al-Khaṭṭābī, Aḥmad ibn Muḥammad. 1402 H. Gharīb al-ḥadīth. Makkah al-Mukarramah: Jāmi‘at Umm al-Qurá.

Al-Sibā‘ī, Muṣṭafá. D. t. al-sīrah al-Nabawīyah Durūs wa-‘ibar. Bayrūt: al-Maktab al-Islāmī.

Al-Sharīf, ‘Abd al-Khāliq. 1992m. Fāṭimah bint Muḥammad. ṭ2. al-Qāhirah: Dār al-Tawzī‘ wa-al-Nashr al-Islāmīyah.

Al-Qaraḍāwī, Yūsuf. 1426 H-2005 M, al-usrah kamā yurīduhā al-Islām. Ṭ1. al-Qāhirah: Maktabat Wahbah.

Quṭb, Sayyid. 1391 H. fī ẓilāl al-Qur’ān. ṭ7. Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.

-Qal‘at Jī, Muḥammad. D. t. Mu‘jam Lughat al-fuqahā’. Bayrūt: Dār al-Nafā’is.

Al-Kalā‘ī, Sulaymān ibn Mūsá. 1417h. al-Iktifā’ bi-mā taḍammanahu min Mughāzī Rasūl Allāh wālthlāthh al-khulafā’. taḥqīq Muḥammad Kamāl al-Dīn ‘Izz al-Dīn ‘Alī. Ṭ1. Bayrūt: ‘Ālam al-Kutub.)

Muslim, Abū al-Ḥasan al-Qushayrī al-Nīsābūrī. ṭ1374 H-1955 M. al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ilá Rasūl Allāh. taḥqīq: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, al-Qāhirah: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah.

Yūsuf, Ḥasan Muḥammad. 1979m. Sayyid al-du‘āh. Ṭ1. al-Qāhirah: Dār al-insān.